فى الجملة الثالثة من الأصحاح السادس من سفر التكوين يقرر الله مباشرة قبل الطوفان أن عمر الإنسان هو مائة وعشرون عاما مناقضا بذلك لما قرره الله بالجملة الثانية والثلاثين من الأصحاح الحادى عشر فى ذات سفر التكوين ؛ إذ يحدد الله عمر الإنسان فى نسل سيدنا نوح بأنه مائة وثمانية وأربعون عاما بل وصلت فى بعض الأحيان إلى ستمائة سنة . (انظر جدول نسل سيدنا نوح حتى سيدنا إبراهيم) . إن التناقض فى هذا الشأن واضح ، وتعليل هذا التناقض واضح أيضا . إن النص الأول نص يهيوى يعود تاريخه كما سبق أن أشرنا إلى القرن العاشر قبل الميلاد . أما النص الثانى كما يتمثل فى الجمل من ١٠ إلى ٣٢ من الأصحاح الحادى عشر فى ذات سفر التكوين فهى من التراث الكهنوتى الذى يرجع إلى القرن السادس قبل الميلاد[١] . وهذا يفسر لنا الدقة الواقعية فى تحديد الأعمار بعد الطوفان بنفس القدر الذى يفسر لنا التناقض الذى نلمسه لو نظر إلى محتويات السفر كوحدة واحدة .

إن أكثر التناقضات مع حقائق العلم الحديث نستطيع أن نجدها فى سفر التكوين .وهذه التناقضات تتعلق بثلاثة موضوعات رئيسية هى :

١ – خلق العالم ومراحل هذا الخلق .

٢ – تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الإنسان على الأرض .

٣ – وَصْفُ الطوفان Description of The Flood

خلق العالم
The creation of the World

يلاحظ الأب دى فو Father De Vaux أن سفر التكوين Genesis «يقدم لنا روايتين مختلفتين عن خلق العالم وقد وضعت كل رواية منها إلى جانب الرواية الأخرى» . ولكى نلم بمدى تناقض كل منهما مع الأخرى ومع حقائق العلم ندرس فيما يلى كُلاً منهما على حدة .

الرواية الأولى عن خلق العالم

تحتل الرواية الأولى عن خلق العالم بالتوراة الأصحاح الأول من سفر التكوين والجمل الأولى من الأصحاح الثانى . إنها مثال نموذجى للتناقضات مع مقتضيات الدقة من وجهة النظر العلمية . ومن الضرورى فحص كل فقرة منها على حدة . والنص الذى نعرض له بالدراسة هنا هو نص تقدمه لنا الترجمة الفرنسية لمدرسة الكتاب المقدس بالقدس ، ويقول هذا النص ما يلى :

(١) سفر واحد هو سفْر التكوين يشير إلى أن الأصحاح السادس منه قد تمت كتابته فى القرن العاشر قبل الميلاد بينما تمّتْ كتابه الأصحاح الحادى عشر من سفر التكوين فى القرن السادس قبل الميلاد بفاصل زمنى قدره أربعة قرون مِمّا يتيح الفرصة لوجود التناقض فى السفر الواحد . (المترجم) .

الأصحاح الأول – الجملة ١ والجملة ٢ : في البدء خلق الله السموات والأرض[١] . وكانت الأرض خربة وخالية والظلمات تغطى اللجة وروح الله يرف على وجه[٢] الماء ».

إننا نستطيع أن نقبل تماما أن مرحلة ما قبل خلق الأرض كان الكون غارقا فى الظلمات ، ولكن وجود الماء فى بدء خلق الأرض ليس له ما يسوغه من وجهة نظر العلم ، وربما كان ذلك من آثار بعض الأساطير والفلسفات القديمة إذ إن العلم يقرر سبق المرحلة الغازية Gaseous Stage لمرحلة المواد الصلبة فى خلق العالم كما سنلمس ذلك فى الفصل الثالث من هذا الكتاب . ومن الخطأ أن نقحم الماء فى أول مرحلة من مراحل خلق العالم .

والجمل من ٣ إلى ٥ تقول[٣] : «وقال الله ليكن نور فكان نور . ورأى الله النور أنه أحسن . وفصل الله بين النور[٤] والظلمة . ودعا الله النور نهارا والظلمة دعاها ليلا وكان مساء وكان صباح يوما واحدا» .

إن النور الذى يحيط بالعالم إنما هو نتيجة انعكاسات لضوء النجوم على الأجرام غير المضيئة ، ولسوف نعود بالدراسة الموسعة لهذا الموضوع فيما بعد فى الجزء الثالث من هذا الكتاب . وفى هذه المرحلة من خلق العالم لم تكن النجوم قد خلقت بعد . وحسب قول التوراة لم يتم خلق النجوم إلا فى اليوم الرابع ، كما تشير إلى ذلك الجملة الرابعة عشرة . ومن غير المنطقى أن يتم ذكر نتيجة ما سيحدث فى اليوم الرابع فى غضون ذكر أحداث اليوم الأول . ويضاف إلى ذلك أن تقسيم اليوم إلى ليل ونهار ليس له مكان معقول فى اليوم الأول من الخلق حسب قول التوراة إذ لايعقل وجود كل منهما إلا بعد وجود الأرض ودورانها تحت الشمس ، وهو ما تم بعد اليوم الأول!

ولنفحص أيضا ما جاء فى بداية الأصحاح الأول من سفر التكوين بالجملة السادسة حتى الجملة الثامنة لنجد التوراة تقول فى هذا الموضع : «وقال الله ليكن جلد فى وسط المياه وليكن فاصلا بين مياه ومياه فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التى تحت الجلد والمياه التى فوق الجلد . وكان كذلك ودعا الله الجلد سماءً . وكان مساء وكان صباح يوما ثانيا» . (سفر التكوين١ : ٦ – ٨) .

إن خرافة المياه The Myth Of Waters يستمر استخدامها هاهنا أيضا مع افتراض انفصال هذه المياه الخرافية إلى طبقتين تصبح إحداهما ببساطة أرضا وتصبح[٥] الأخرى سماء . إن صورة

---

(١) تقول الترجمة الإنجليزية طبعة كولينز : «فى البدء عندما خلق الله العالم» In the beginning when God created the universe."(Genesis1: 1)وفى ملاحظة هامشية توجد تعبيرات أخرى عن ذات هذه الجملة الأولى .

(٢) يوجد اختلاف فى الألفاظ بين الترجمة العربية بالقدس والترجمة المصرية .(المترجم).

(٣) نستخدم الترجمة العربية المصرية .

(٤) الفصل بين النور والظلمة هنا فجائى فى حين أنه تدريجى . قارن ذلك بقول الله فى القرآن الكريم : ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وهو عليم بذات الصدور ﴿٦﴾﴾ [الحديد : ٦] –(المترجم) .

(٥) بهذا الافتراض تكون الأرض قد تكونت من المياه ، والسماء أيضا قد تكونت من المياه مع الفروق الهائلة بين مكونات الأرض والسماء على الرغم من أصل الأرض والسماء وأحد هو المياه . إن للمؤلف كل الحق فى أن يصف هذا التصور بأنه تصور خرافى . (المترجم).

انقسام المياه هكذا إلى طبقتين : إحداهما أرض والأخرى سماء إنما هى صورة غير مقبولة علميا Scientifically Unacceptable .

ولنفحص النص بالجمل من ٩ إلى ١٣ وهو يقول : «وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة . وكان كذلك . ودعا الله اليابسة أرضا . ومجتمع المياه دعاه بحارا ورأى الله أن ذلك حسن . وقال الله لتنبت الأرض عشبا وبَقْلاً يبرز بزراً وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه بزره فيه على الأرض وكان كذلك ، فأخرجت الأرض عشبا وبقلا يبرز بزرا كجنسه وشجرا يعمل ثمرا بزره كجنسه ورأى الله ذلك أنه حسن . وكان مساء وكان صباح يوما ثالثا» . (سفر التكوين ١ : ٩ – ١٣) .

من المقبول علميا أن القارّات قد ظهرت فى مرحلة من تاريخ الأرض عندما كانت الأرض مغطاة بالمياه . ولكن افتراض وجود عالم نباتى منظم تنظيما وراثيا من خلال البذور التى لاتظهر إلا بعد نضج الثمار يستحيل أن يتحقق إلا بوجود الشمس التى لم تُخْلَقْ إلا فى اليوم الرابع كما يقرر ذلك الأصحاح الأول من سفر التكوين ذاته ، وذلك ينطبق أيضا على خلق الليل والنهار إذ يستحيل تصور إمكانية التمييز بينهما قبل خلق الشمس التى لم تُخْلَقْ إلا فى اليوم الرابع كما سبق أن أشرنا .

ولنفحص النص بالجمل من ١٤ إلى ١٩ وهو يقول : «وقال الله لتكن أنوار فى جلد السماء لتفصل بين النهار والليل . وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين . وتكون أنوارا فى جلد السماء لتنير على الأرض . وكان كذلك .فعمل الله النورين العظيمين : النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل . وجعلها الله فى جلد السماء لتنير على الأرض ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة . ورأى الله ذلك أنه حسن . وكان مساء وكان صباح يوما رابعا . (سفر التكوين ١ : ١٤ – ١٩) .

إن الوصف الذى يقدمه لنا كاتب التوراة فى هذه الفقرة مقبول ،والنقد الوحيد الذى يمكن توجيهه إليه هو مكان وتوقيت ظهور الشمس بالنسبة لنظام خلق العالم ككل . وكما نعرف علميا انفصلت الأرض Earth وانفصل القمر Moon من الكوكب الأصلى لهما وهو الشمس Sunوترتيب وتوقيت خلق الشمس والقمر بعد خلق الأرض إنما هو مخالف ومناقض بكل شدة وبكل حَسْم للرأى المستقر علميا بشأن تكوين نظام المجموعة الشمسية .

«..... contrary to The Most firmly established ideas on The Formation Of the elements of the Solar System

ولنفحص الجمل من ٢٠ إلى ٣٠ وهى تقول : «وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطر طير فوق الأرض وعلى وجه جلد السماء . فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس

الحية الدبابة التى فاضت بها المياه كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها ،وكلّ طائر ذى جناح كجنسه . ورأى الله ذلك أنه حسن . وباركها الله قائلا : أثمرى وأكثرى واملئى المياه فى البحار . وليكثر الطير على الأرض . وكان مساء وكان صباح يوما خامسا .

وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها . وكان كذلك . فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها ورأى الله ذلك أنه حسن . وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا . فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض . فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكرا أو أنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم[1] أثمروا وأكثروا واملئوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض . وقال الله إنى قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزرا على وجه كل الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزراً . لكم يكون طعاما . ولكل حيوان الأرض ،وطير السماء وكل دابة على الأرض فيها نفس حية أعطيتُ كل عشب أخضر طعاما . وكان كذلك». (سفر التكوين ١ : ٢٠ – ٣٠) .

تحتوى هذه الفقرة على مزاعم لايمكن القبول بها . وفقا لما ورد بسفر التكوين بدأ ظهور مملكة الحيوان بظهور مخلوقات بحرية وطيور ذات أجنحة . والوصف التوراتى يخبرنا أن الأرض نفسها لم تكن مأهولة بالكائنات الحية حتى مجيء اليوم التالى أى اليوم السادس كما سنرى فى الفقرة التالية من ذات سفر التكوين .

من المؤكد أن الأصول العضوية للحياة قد جاءت من البحر ولكن هذه المسألة لن يتم بحثنا لها حتى الجزء الثالث من هذا الكتاب . من البحر تم تشكيل الأرض كما هو الشأن فى تكوينها الذى أعطاها شكلها المعروف لنا ، وعلى ظهرها وجد عالم الحيوانات ، ومن الحيوانات التى كانت تعيش على سطح الأرض وعلى وجه الخصوص من نوع معين من الزواحف يُعتَقَدُ أن الطيور قد نشأت . إن العديد من الخصائص البيولوجية Biological Characteristics المشتركة بينهما تجعل هذا الاحتمال الظنى ممكنا . ووحوش الأرض The Beasts لم يتم ذكرها حتى اليوم السادس بسفر التكوين ، حتى فترة ما بعد خَلْقِ الطيور[2] وهذا الترتيب فى الظهور بحيث تظهر الوحوش بعد الطيور ليس مقبولا .

وفى الفقرة السابقة نجد الذروة القصوى لعملية الخلق The Culmination Of The Creation إن

(١) إلى من تكلم الله؟ هل تكلم الله إلى كل الناس ؟ ومن المعقول أن يتكلم الله إلى من يشاء من الملائكة . وتكلم الله إلى سيدنا آدم . وتكلم إلى من اصطفاه من الأنبياء . (المترجم).

(٢) يلاحظ المترجم أن قصة الخلق كما وردت بالتوراة على هذا النحو تجعل أن خلق الأرض وخلق السماء فوقها هو كل خلق الله فى حين أن الأرض بكل ما عليها إنما هى جزء ضئيل من الكون كما يقرر ذلك علم الفلك بما لايدع مجالا لأى شك. (المترجم).

مؤلف هذه الفقرة من الأصحاح الأول من سفر التكوين يضع لنا قائمة List بكل المخلوقات الحية التى لم يسبق له ذكرها من قبل ويصف لنا أنواع طعام الإنسان والحيوان .

وكما سبق أن لاحظنا كان الخطأ فى هذا الوصف هو القول بأن ترتيب ظهور الحيوانات كان لاحقا لظهور الطيور وظهور الإنسان قد تم وضعه وضعا صحيحا على كل حال بعد ظهور الأنواع الأخرى من الكائنات الحية .

وينتهى وَصْفُ عملية الخلق فى الجمل الثلاثة الأولى من الأصحاح الثانى بسفر التكوين ، وهى تقول : «فأكملت السموات والأرض وكل جندها . وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل . فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدّسه . لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا» . (سفر التكوين ٢ : ١ – ٣) .

إن هذا الوصف التوراتى لليوم السابع يحتاج منا بعض التعليقات . وتنصَبُّ هذه التعليقات أولا وقبل كل شىء على ما تعنيه الكلمات المستخدمة فى التوراة لوصف هذا اليوم السابع . إن كلمة «جند» فى تعبير : «وأكملت السموات والأرض وكل[1] جندها» إنما هى كلمة غريبة فى هذا السياق . أما كلمة «استراح» التى وردت فى النص فهى تفيد أن الله كان قد أصابه التعب فى الأيام الستة الأولى «فاستراح[2] فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل» ومن هنا جاء يوم الراحة عند اليهود ، وهو يوم السبت .

ولاريب أن هذه «الراحة Rest» التى يفترض هذا النص التوراتى أن الله قد أخذها بعد اليوم السادس من أيام العمل إنما هى خرافة Legend اخترعها خيال كاتب الأصحاح الثانى من سفر التكوين . وربما كان هنالك تفسير لوجود هذه الخرافة . إننا يجب أن نضع فى اعتبارنا أن هذا الوصف لعملية خلق العالم الذى نعرض له بالدراسة كما ورد فى التوراة إنما هو من النصوص التى سبق أن أشرنا إليها باعتبار أنها نصوص المرحلة الكهنوتية ، وهى المرحلة التى أخذ فيها «الكهنة» وهم الورثة الروحيون للنبى حزقيال (نبى السبى البابلى) على عاتقهم كتابة أسفار التوراة فى القرن السادس قبل الميلاد . ومن المعروف أن أولئك الكهنة قد أعادوا صياغة وكتابة أسفار التوراة حسب مفهومهم وحسب خبراتهم التى اكتسبوها وفقا لمشيئتهم واهتماماتهم الخاصة التى ذكر الأب دى فو أن طابعها التشريعى كان[3] جوهريا .

وعلى حين لايشير النص اليهيوى للتوراة إلى راحة الله الذى تعب من عمله فى الأيام الستة

(١) الجند أو الجنود يفهم أن معناها يتعلق بالحرب . هل كانت ثمة حرب عند بدء خلق العالم وظهور المخلوقات . ما طرفا هذه الحرب؟ لاجواب! ومن الملاحظ أن كاتب هذا الأصحاح إنما يستخدم لغته ، لغة عصره ، حيث كانت الحروب موجودة . (المترجم) .

(٢) ينفى القرآن الكريم أن يصيب الله تعب أو أن يحتاج إلى الراحة من عمل وذلك فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق : ٣٨] . وهكذا يصوب القرآن الكريم ما يلزم تصويبه بشأن جلال الله وكمال الله . (المترجم) .

(٣) معنى ذلك أن أولئك الكهنة كانوا يريدون تكريس مفهوم ضرورة الراحة من العمل بين اليهود فى يوم السبت . فأضافوا هذا النص القائل بأن الله «قد استراح» من العمل فى اليوم السابع وإذا كان الله «قد استراح» من العمل فى اليوم السابع ، وهو يوم السبت أفلا يكون حريا ولازما أن يستريح اليهود من العمل يوم السبت خصوصا أن كلمة «استراح» تعنى «سبت» فى اللغة العبرية . (المترجم) .

فسبَّتَ أى «استراح» نجد أن الكاتب«الكهنوتى» يقحمها على النص الذى يصف عملية خلق الله للعالم . إن هذا الكاتب «الكهنوتى» يقسم روايته إلى أيام بالمعنى الدقيق لأيام الأسبوع . وهو يجعل الهدف الأهم من هذه الرواية هو راحة الله فى اليوم السابع[١] . والله هو أول من احترم الراحة فى اليوم السابع . ولاريب أن العلم يصف مثل هذه المحاولة الكهنوتية لفرض الراحة من العمل يوم السبت بأنها مجرد وَهْمٍ وتَوهُّمٍ.

إن تهافت الكاتب الكهنوتى لقصة الخلق فى بدء سفر التكوين على استغراق كل مراحل الخلق المتعاقبة فى نطاق أسبوع بهدف الحث على الطاعة الدينية من جانب الشعب اليهودى بقصد وجوب إلزامه بتقديس الراحة يوم السبت لايقبل أبدا إمكانية الدفاع عنه من وجهة النظر العلمية . إننا اليوم ندرك تماما أن تكوين العالم والأرض قد حدث فى غضون مراحل استمرت على امتداد فترات زمنية طويلة . (وفى الجزء الثالث من هذه الدراسة سنفحص هذه المسألة عندما ندرس معطيات القرآن الكريم The Quranic Data بخصوص خلق الله للعالم) وحتى لو كانت عملية الخلق كما قدمتها لنا التوراة قد انتهت فى مساء ذلك اليوم السادس ، ودونما ذكر لتلك الراحة التى فرضها سفر التكوين على الله مفترضا أن الله قد أصابه التعب طوال الأيام الستة التى عمل فيها على خلق العالم ، وحتى لو كان اليوم يستخدم بمعنى مجازى للإشارة إلى زمن غير محدود كما هو الشأن فى القرآن الكريم ، يظل الوصف الكهنوتى التوراتى غير مقبول[٢] حيث إن تتابع وتتالى ظهور المخلوقات بتضمن تناقضا تاما مع المبادئ الأولية للمعرفة العلمية .

ويجوز أن نقول بناء على ما سبق بيانه إن هذا الوصف الكهنوتى لقصة الخلق بالتوراة يظل تصورا غير معقول ولا مقبول كمجرد خرافة بحتة وتزييف غير معقول . والغرض منه يختلف تماما عن أى تفسير يهدف إلى الوصول إلى أن تكون الحقيقة معروفة .

It may be Seen therefore that the sacerdotal description of the creation stands out as an-imaginative and ingenious fabrication . It spurpose was quite different from that of making the truth knoun .

---

(١) بالفعل ، يتوه الذهن ويحار فى مراحل خلق الله للعالم كما جاء وصفها بالتوراة ولا يبقى فى الذهن إلا أن الله قد استراح فى اليوم السابع .(المترجم) .

(٢) يلاحظ أنه لا مجال إطلاقا لفهم وتفسير اليوم من أيام خلق الله للعالم كما ورد بسفر التكوين على نحو مجازى بأى حال من الأحوال ، وذلك لأن كاتب فقرات الأصحاح الأول والأصحاح الثانى من سفر التكوين بتهافته على محاولة تقديس الراحة فى اليوم السابع جعل أيام الأسبوع سبعة أيام تماما مثل أيام الأسبوع المتعارف عليها . والقرآن الكريم يشير صراحة إلى المعنى المجازى لليوم وذلك فى مثل قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج : ٤٧] ولكن مدبج قصة خلق العالم فى التوراة جعل التفسير المجازى لليوم مستحيلا بتهافته على الراحة .(المترجم).

الرواية الثانية لقصة الخلق

Second Description

إن الوصف الثانى لقصة خَلق العالم فى سفر التكوين Genesis تأتى مباشرة فى أعقاب القصة الأولى دون أى تعليق أو أى مقدمة تمهيدية للربط بين القصتين . والوصف الثانى لقصة الخلق نظرا لاقتضابه لايفجر كثيرا من أوجه التناقض كما يفجرها الوصف الأول لقصة الخلق فى التوراة.

ومن الضرورى أن نتذكر أن هذا الوصف الثانى لقصة الخلق يرجع تاريخه بكل حسم إلى ثلاثة قرون قبل النص الأول وهو مقتضب جدا ، وهو يسمح بوجود فاصل زمنى أكبر فيما يتعلق بشأن خلق الإنسان وخلق الأرض والسماء إذ يذكره فى اقتضاب شديد فيقول : «هذه هى مبادئ السموات والأرض حين خلقت . يوم عمل الرب الإله الأرض والسموات كل شجر البرية لم يكن بعد فى الأرض وكل عشب البرية لم ينبت بعد . لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض. ولا كان إنسان ليعمل الأرض . ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقى كل وجه الأرض وجعل الرب الإله آدم ترابا من الأرض . ونفخ فى أنفه سمة حياة فصار آدم نفسا حية»[1] . (سفر التكوين ٢ : ٤ – ٨) .

هذه هى الرواية اليـاهويّة لقصة الخلق الموجودة فى نصوص العهد القديم الموجودة بأيدينا فى الوقت الحاضر . ومن الواضح أنها ترجع إلى عصر يسبق عصر الرواية الكهنوتية لقصة الخلق التى سبق أن عرضنا لها بالدراسة من قبل ، تسبقها بمئات السنين . هل كانت على هذا النحو من الإيجاز حتى حاول من سطروا الرواية الكهنوتية أن يضيفوا إليها إضافات وتفسيرات ومعتقدات من مستجدات عصرهم ؟

إن هذه الرواية الياهوية لاتشير إلى عملية تكوين الأرض على نحو تفصيلى واضح ولا تشير إلى كيفية تشكيل وتكوين السماء . إنها إشارة إلى خلق دون إشارة لمراحل وكيفية الخلق ، إن هذه الرواية المقتضبة تدع للفهم الضمنى المجال متسعا لكى يتخيل أنه عند خلق الله للإنسان لم يكن ثمة نباتات أرضية موجودة (فلم يكن المطر قد نزل بعد) مع إغفال أن المياه الآتية من العمق كانت تغطى سطح الأرض ، ولكن الارتباط الذى كان موجودا بأذهان البشر هو أن المطر هو الذى ينبت النبات ، وتؤكد بقية النصوص المتناثرة بعد ذلك هذا المعنى مثل : «زرع الله بستانا فى نفس الوقت

(١) يلاحظ المترجم أن هذا النص رغم اقتضابه الشديد حافل أيضا بالغموض والتناقض وانعدام الدقة فى التعبير مما يسمح بأكثر من معنى متعارض . وهذا النص يعزو إلى الله أنه عمل الأرض والسموات فى «يوم» مناقضا بذلك تماما النص الأول الذى يحدد ستة أيام للخلق ، وهذا النص يجعل مراحل خلق العالم ثلاث مراحل لا ست مراحل وهى :خلق الأرض والسموات ثم خلق الشجر والعشب، ثم خلق آدم . وينسب النص المطر إلى الله وكأن الله يمطر المطر ولا يسبب أسباب سقوط المطر وهذا خلط واضح بين الفعل والتسبب فى الفعل .(النار تجعل الماء يغلى فيخرج البخار وتتولد الطاقة البخارية . وليست النار هى التى تولد الطاقة البخارية) . «وجعل الرب الإله آدم ترابا من الأرض» هل جعل الإله الربُ آدم «ترابا» أم جعل الربُ الإله آدم من «تراب» ؟ المعنى مختلف إلى حد كبير ! (المترجم) .

الذى خلق فيه الإنسان» . وهكذا يظهر عالم النبات فى نفس الوقت الذى ظهر فيه الإنسان على الأرض . إن هذا خطأ من وجهة النظر العلمية فلقد ظهر الإنسان على الأرض بعد أن كانت الأرض تحمل النباتات بزمن بعيد . وليس نمو النباتات على سطح الأرض وقفا على عمل الإنسان بل تنمو أنواع كثيرة من النباتات والأشجار دون أن يعمل الإنسان شيئا فى زراعتها ، ومع صحة هذا الافتراض العلمى إلا أننا لا نعرف بالضبط عدد السنين التى انقضت منذ ظهور أنواع مختلفة من النباتات على سطح الأرض حتى ظهور الإنسان على سطح الأرض .

إن هذا هو الانتقاد الذى يمكن توجيهه إلى هذا النص اليهوى المقتضب . وإذ لم يحدد هذا النص مدة أسبوع ولم يحدد ما فعله الله فى خلق العالم كل يوم من أيام الأسبوع فهو بذلك قد أفلت من كثير من أوجه النقد التى سبق أن أشرنا إليها فى الرواية الأولى لقصة الخلق بالأصحاح الأول وبداية الأصحاح الثانى من سفر التكوين بالعهد القديم .

تاريخ خلق العالم وظهور الإنسان علي الأرض

إن التقويم اليهودى The Jewish Calendar يتوافق ويتسق مع أحداث العهد القديم – يعطى تاريخا للأحداث التى سبق لنا ذكرها بطريقة محددة جدا . إن النصف الثانى من عام ١٩٧٥ لميلاد المسيح يماثل بدء العام ٥٧٣٦ منذ بداية خلق العالم حسب التقويم اليهودى . وكانت عملية خلق الإنسان قد تَمّت بعد أيام عديدة ، ليكون له نفس عمر الأرض من حيث حسابها بسنوات التقويم اليهودى .

ومن المحتمل أن تصويبا ينبغى أن نأخذه فى اعتبارنا ، ويتعلق هذا التصويب بحقيقة أن حساب الزمن فى التقويم اليهودى يتم حسب الأعوام القمرية Lunar Years بينما التقويم المسيحى الميلادى المستخدم فى الغرب يعتمد على السنوات الشمسية Solar Years وهذا التصويب يلزم عَمَلُه إذا شئنا المزيد من الدقة ، ولكن حيث إن حساب هذا الفارق لايشكل إلا فرقا مقداره لايزيد على ٣ ٪ نجد أن له أثرا طفيفا . ولكى نجعل حساباتنا أكثر بساطة من الأسهل إهمال هذا الفارق حيث إنه لايتعدى فى الحساب كله أكثر من ثلاثين سنة لكل ألف سنة . ولذلك نكون أقرب ما نكون إلى الصواب عندما نقول : إن التقدير العبرى يرجع ببدء تاريخ العالم إلى سبعة وثلاثين قَرْناً من الزمان قبل ميلاد المسيح عليه السلام .

ماذا يقول لنا العلم الحديث بهذا الصدد ؟ ربما يكون من الصعب أن يجيب العلم الحديث بدقة عن تاريخ بداية خلق العالم بالضبط . وكل ما يستطيع العلم الحديث أن يومئ إليه هو مساحة من الزمان تشكل فى غضونها نظام مجموعتنا الشمسية. ومن الممكن أن يكون العلم الحديث قد وصل إلى تحديد تقريبى فى هذا الشأن. إن الفاصل الزمنى بين بدء نشوء النظام الشمسى لعالمنا

ووقتنا الحالى يقدره العلم الحديث بأربعة بلايين ونصف بليون سنة four and a Half Billion years ونستطيع بناء على ذلك أن ندرك الفرق بين الحقيقة العلمية فى هذا الصدد وبين المعلومات التى يقدمها لنا الكتاب المقدس بهذا الشأن ، وسوف نعرض لتفاصيل ذلك فى القسم الثالث من هذا الكتاب . وهذه الحقائق تتعارض تماما مع ما تقدمه لنا نصوص العهد القديم من معلومات فى هذا الموضوع . إن سفر التكوين Genesis يمدنا بمعلومات محددة مقتضبة عن المدة الزمنية التى انقضت منذ عهد سيدنا آدم وسيدنا إبراهيم ، وعن المدة التى انقضت منذ عهد سيدنا إبراهيم إلى بدء تاريخ المسيحية . والمعلومات التى يقدمها لنا غير كافية ومن الضرورى سد ثغراتها من مراجع أخرى .

١ - من آدم إلى إبراهيم

بالأصحاحات ٤ ، ٥ ، ١١ ، ٢١ ، ٢٥ قدم لنا سفر التكوين معلومات متصلة بأنساب الأنبياء بدءا من سيدنا آدم حتى سيدنا إبراهيم . ولما كان سفر التكوين يذكر عمر كل منهم ، وعمر الأب عند ميلاد الابن فى الغالب الأعم، نستطيع أن نحدد تاريخ ميلاد ووفاة كل خلف لكل سلف ، كما هو واضح من الجدول التالى المستمد من النص الكهنوتى بسفر التكوين حيث إن هذا النص هو الوحيد فى التوراة الذى يعطى معلومات من هذا النوع . ومن هذا الجدول نستطيع أن نستنتج أن سيدنا إبراهيم وفقا لمعلومات التوراة قد ولد بعد ١٩٤٨ سنة بعد سيدنا آدم . وفيما يلى جدول يوضح تاريخ الميلاد ومقدار العمر وتاريخ الوفاة بعد خلق آدم حتى نصل إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام :

أنساب إبراهيم

	تاريخ الميلاد بعد خلق آدم	مدة العمر	تاريخ الوفاة بعد خلق آدم
١ – آدم Adam	٠٠	٩٣٠	٩٣٠
شيت Seth	١٣٠	٩١٢	١٠٤٢
إنوش enosch	٢٣٥	٩٠٥	١١٤٠
قينان Kenan	٣٢٥	٩١٠	١٢٣٥
مهللئيل Mahaleel	٣٩٥	٨٩٥	١٢٩٠
يارد Jared	٤٦٠	٩٦٢	١٤٢٢
أخنوخ Enoch	٦٢٢	٣٦٥	٩٨٧
متوشالح Methusaleh	٦٨٧	٩٦٩	١٦٥٦
لامك Lamech	٨٧٤	٧٧٧	١٦٥١
١٠ – نوح Noah	١٠٥٦	٩٥٠	٢٠٠٦
سام Shem	١٥٥٦	٦٠٠	٢١٥٦

	تاريخ الميلاد بعد خلق آدم	مدة العمر	تاريخ الوفاة بعد خلق آدم
أرفكشاد Arpachshad	١٦٥٨	٤٣٨	٢٠٩٦
شالح Shelah	١٦٩٣	٤٣٣	٢١٢٢
عابر Eber	١٧٢٣	٤٦٤	٢١٨٧
فالج Peleg	١٧٥٧	٢٣٩	١٩٩٦
داعو Reu	١٧٨٧	٢٣٩	٢٠٢٦
سروج Serug	١٨١٩	٢٣٠	٢٠٤٩
ناحور Nahor	١٨٤٩	١٤٨	١٩٩٧
تارح Terah	١٨٧٨	٢٠٥	٢٠٨٣
٢٠- إبراهيم Abraham	١٩٤٨	١٧٥	٢١٢٣

٢ - من إبراهيم إلى العصر المسيحى

إن الكتاب المقدس The Bible لايعطينا أية معلومات رقمية عن هذه الفترة الممتدة من سيدنا إبراهيم حتى العصر المسيحى مثل تلك المعلومات التى نجدها بسفر التكوين Genesis عن العصر السابق لعصر سيدنا إبراهيم ، وعصر أسلاف سيدنا إبراهيم ، ويجب علينا أن نبحث عن مصادر أخرى للمعلومات لنتمكن من تحديد الزمن الذى يفصل بين سيدنا إبراهيم وسيدنا عيسى . إن هذا العصر الذى يمتد فيما بين سيدنا إبراهيم وسيدنا عيسى يقدر حاليا بحوالى ثمانية عشر قرنا قبل ميلاد المسيح -عليه السلام - وبإضافة هذه المدة إلى المدة التى تفصل بين سيدنا آدم وسيدنا إبراهيم كما يحددها لنا سفر التكوين نجد أن هذه الإضافة تصل بنا إلى حوالى ثمانية وثلاثين قرنا قبل ميلاد المسيح عليه السلام.

(المدة التى تفصل بين سيدنا إبراهيم وسيدنا عيسى ١٨ قرنا قبل الميلاد + المدة التى تفصل بين سيدنا آدم وسيدنا إبراهيم وهى ٢٠ قرنا قبل الميلاد. إذن المدة بين سيدنا آدم وبين سيدنا عيسى عليه السلام = ١٨ + ٢٠ = ٣٨ قرنا قبل الميلاد) . وهذا التقدير يستحيل إنكار الخطأ فيه . والسبب فى هذا الخطأ ينبع من الغلطات فى الكتاب المقدس Mistakes in the Bible فى المدة التى يحددها الكتاب المقدس بين سيدنا آدم وسيدنا إبراهيم . والتقويم اليهودى لايزال يؤسس تقويمه على هذا الأساس الخاطئ . وفى أيامنا هذه يمكن لنا أن نتحدى أولئك المدافعين التقليديين عن الحقيقة التوراتية Biblical Truth اعتمادا على وضوح وجود التناقض بين أوهام الكهنة اليهود Jew-ish Priests الذين كانوا يعيشون فى القرن السادس قبل الميلاد ، ويتصرفون فى شئون كتابة التوراة للناس وبين المعلومات والحقائق التى اكتشفها العلم الحديث . وعلى مدار قرون متلاحقة كانت هذه المعلومات القديمة تستخدم كقاعدة لتحديد أحداث العصر القديم وتنسب إلى المسيح.

وفيما قبل عصرنا الحديث ، كانت الطبعات المختلفة من الكتاب المقدس تمد القارئ بمقدمة تتضمن شرح التتابع التاريخى للأحداث التى مرت بالبشرية فيما بين خلْق العالم وأيام تحريرهم للكتاب المقدس . ولقد كانت الأرقام تختلف وتتمايز بين وقت وآخر . وعلى سبيل المثال تعطينا طبعة الفولجاتا من الكتاب المقدس Votgate Clementine مثل هذا الانطباع عندما تجعل تاريخ حياة سيدنا إبراهيم ترجع إلى الوراء قليلا محددة بدء الخليقة بأربعين قرنا قبل الميلاد ، أما طبعة «والْتُون» من الكتاب المقدس Walton المتعددة اللغات التى صدرت فى القرن السابع عشر فهى تعطى القارئ لها بعديد اللغات قائمة بالأسماء والأعمار قريبة من القائمة التى سبق لنا تقديمها عن أنساب سيدنا إبراهيم– عليه السلام – وبحلول العصر الحديث لم يعد المشرفون على طباعة الكتاب المقدس يستطيعون التمسك بمثل هذه الأنماط الجزافية لتحديد تاريخ الأحداث دون الاصطدام بواحد من الاكتشافات العلمية هنا أو هنالك يحتم أن يكون تاريخ بدء العالم قد تم فى زمان يسبق الزمان المحدد للأحداث بقرون عديدة ، ولذلك قنع المشرفون على تحرير وإعادة طباعة الكتاب المقدس بأن يحذفوا المقدمات التى كانوا يعرضون فيها لتحديد تاريخ الأحداث وفقا لنصوص الكتاب المقدس ، أو اكتفوا بالتحذير بأن التأريخ المستمد من نصوص الكتاب المقدس لايشترط أن يكون مطابقا للحقيقة مفضلين أن يسدلوا حجابا كثيفا على الرغبة فى تحديد زمن الأحداث التاريخية التى يتحدث عنها نص من النصوص فى الكتاب المقدس وذلك باستخدام عبارات من شأنها أن تفرض القبول بالنص كما هو دون نظر لأى اعتراضات تثار بشأنه .

وهذا هو السبب فى أن النصوص التى تمت كتابتها فى العصر الكهنوتى بالكتاب المقدس لاتزال تحتفظ بقداستها على الرغم من أن الإنسان فى القرن العشرين لايستطيع الاستمرار فى الاعتماد عليها فى التأريخ الدقيق للأحداث وفقا للتقديرات الوهمية للكهنة الذين كتبوا تلك النصوص بالكتاب المقدس وذلك باعتبار ضرورة الإيمان بها دون نظر لأى اعتراض مهما يكن معقولا[1] بشأنها .

إن الحقائق العلمية الحديثة لاتسمح لنا أن نعتبر أن ظهور الإنسان على سطح الأرض يمتد وراء حد معين لا يتعداه فى الماضى . ويجوز لنا أن نتأكد من أن الإنسان بقدرته على التصرف وكسب الأفعال الاختيارية وفقا للتفكير الإنسانى الذى يتمتع بالتعقل والذكاء الذى يميز الكائنات البشرية عن غيرها من المخلوقات – هذا الإنسان ، قد بدأ ظهوره على سطح الأرض فى تاريخ محدد . ولايستطيع أحد بطبيعة الحال أن يحدد بدقة فى أى عام بدأ ظهور الإنسان على سطح الأرض . وكل ما نستطيع أن نقوله الآن هو : إن الآثار التى تركها الإنسان فى عصور التاريخ الماضية لتدل على قدراته العقلية الإبداعية القادرة على الإنجاز والإبداع تجعل من الجائز لنا أن نعرف بدقة الآثار

(١) اخترع رجال الدين شعارات مثل :«آمِنْ ثم افهم» أو :«آمن لتفهم» .(المترجم) .

الدالة على وجود هذا الإنسان على سطح الأرض فى تاريخ مُعيَّن على امتداد عصور التاريخ منذ عشرات الآلاف من السنين .

وهذا التأريخ العلمى مهما يكن تقريبيا يرجع إلى حياة الإنسان فى مرحلة ما قبل التاريخ Pre-historic Human Spices مثل إنسان كروما جنون Cro - Magnon فلقد تم الوصول إلى اكتشافات أخرىٰ فى أنحاء كثيرة من العالم لآثار وبقايا إنسان مرحلة ما قبل التاريخ . وهذه الآثار البشرية تعزى إلى أنواع من البشر أقل تدرجا فى سلم البشرية ، ولكن تاريخ أولئك البشر يمكن أن يرجع إلى مئات الآلاف من السنين . ولكن السؤال هو : هل كانوا بشرا بالمعنى الحقيقى لكلمة البشر ؟

وعلى كل حال ، وسواء كانوا بشرا أو لم يكونوا كذلك ، لدينا معطيات علمية دقيقة بشكل كاف فى مجال علم السلالات البشرية ترجع ببدء تاريخ نشأة البشر على سطح الأرض إلى تاريخ أبعد بكثير فى الماضى من العصر الذى يحدده سفر التكوين لأوائل البشر مما ينشأ عنه تعارض بين حقائق العلم بشأن بدء ظهور الإنسان على سطح الأرض وبين الحقائق الحسابية التى يقدمها سفر التكوين فى هذا الصدد .

الطوفان *The Flood*

يروى لنا الأصحاح السادس والأصحاح السابع والأصحاح الثامن من سفر التكوين قصة الطوفان . ونحن لانجد فى الحقيقة قصة واحدة للطوفان بل نجد قصتين ، لم توضع إحداهما بعد إتمام الأخرى ، ولكن تباعدت وتداخلت أجزاء إحداهما فى الأخرى مع محاولة مكشوفة لمحاولة التنسيق بين الأحداث المختلفة . وفى حقيقة الأمر ، نجد فى هذه الأصحاحات الثلاثة تناقضات واضحة كبيرة . والسبب فى وجود هذه التناقضات أيضا يرجع إلى وجود مصدرين لكتابة أسفار التوراة هما المصدر الياهوى والمصدر الكهنوتى .

ولقد رأينا فيما سبق أن هذين المصدرين اللذين صدرت عنهما كتابة أسفار التوراة يتناقضان ويتعارضان إلى حد كبير . لقد تم تقطيع كل رواية للحدث إلى أجزاء ، وتم إدخال تعديلات وتفسيرات فى مزيج تداخلت فيه عناصر أحد المصدرين فى عناصر المصدر الآخر لدرجة أننا نستطيع أن نلاحظ بوضوح أننا ننتقل من أحد المصدرين إلى المصدر الآخر فى ذات قصة الطوفان سبع عشرة مرة ، وذلك فى غضون ما لايزيد على مئة سطر تقريبا فى هذا النص من سفر التكوين المكتوب باللغة الإنجليزية .

ولو أننا نظرنا إلى قصة الطوفان ككل لوجدناها تمضى على هذا النحو : لما عم الفساد بين الناس قرر الله أن يدمرهم وأن يدمر كل المخلوقات الحية . وحذر الله سيدنا «نوحًا» من الطوفان قبل حدوثه وأمره أن يبنى الفُلْكَ أو السفينة The Ark وأن يُدْخل فيها زوجته وأولاده الثلاثة وزوجاتهم

الثلاث مع كائنات حية أخرى . ويختلف المصدران المتداخلان فى رواية قصة الطوفان فى تحديد الكائنات الحية الأخرى التى أمر الله سيدنا «نوحاً» أن يدخلها معه إلى السفينة . هناك مقطع من الرواية كهنوتى الأصل يشير إلى أن سيدنا نوحًا قد أخذ معه فى السفينة زوجا من كل نوع . ثم يخبرنا مقطع آخر من الرواية ياهوى الأصل أن الله قد أمر سيدنا نوحًا أن يأخذ معه فى السفينة سبعة من كل نوع ذكورا وإناثا وذلك من الحيوانات المسماة بالحيوانات الطاهرة Pure Animals وأن يأخذ زوجا واحدا من الحيوانات غير الطاهرة Impure Animals وبعد ذلك ، على كل حال ، يخبرنا نص التوراة أن سيدنا نوحا لم يدخل بالسفينة فعلا إلا زوجا واحدا من كل نوع من الحيوانات . ويؤكد لنا المتخصصون فى دراسة نصوص الكتاب المقدس مثل الأب دى فو أن هذه الرواية الأخيرة إنما هى النصُّ المُعَدَّلُ من الرواية الياهوية .

وفى الرواية فقرة ترجع إلى الأصل الياهوى تشير إلى السبب فى الطوفان هو ماء المطر المنهمر من السماء ، وهناك رواية كهنوتية المصدر تؤكد لنا أن السبب فى الطوفان هو سبب مزدوج ، أى أن الطوفان قد حدث بسبب ماء المطر ، وبسبب ماء الينابيع الأرضية أيضا .

تغطت الأرض حتى قمم الجبال وإلى منسوب أعلى من أعلى ذروة فى قمم الجبال بالماء . وتدمرت على الأرض كل الحياة . وبعد سنة من بدء الطوفان رست سفينة سيدنا نوح على جبل **أرارات** وخرج سيدنا نوح ومن معه من السفينة بعد انحسار المياه عن الأرض .

وبالتوراة أيضا موقفان مختلفان من الزمن الذى حدث فيه الطوفان والزمن الذى استغرقه دوام الطوفان . لقد استمر الطوفان أربعين يوما وفقا للمصدر الياهوى . واستمر الطوفان مائة وخمسين يوما حسب النص الكهنوتى . ولا تحدد الرواية الياهوية تاريخ وقوع حَدَث الطوفان من حياة سيدنا نوح ، على حين تحدد الرواية الكهنوتية عمر سيدنا نوح عند حدوث الطوفان بأنه ستمائة عام . وتعطى هذه الرواية الكهنوتية إشارات محددة لزمن وقوع الطوفان بالنسبة إلى سيدنا آدم وإلى سيدنا إبراهيم وذلك من خلال قائمة الأنساب ، ووفقا للحسابات المستمدة من سفر التكوين نجد أن سيدنا نوحا قد ولد بعد ١٠٥٦ سنة بعد سيدنا آدم (انظر جدول أسلاف سيدنا إبراهيم) . وبناء على ذلك يكون الطوفان قد حدث بعد ١٦٥٦ من خلق الله لسيدنا آدم . ويحدد سفر التكوين وقت حدوث الطوفان بالنسبة لسيدنا إبراهيم أيضا فيرجع بتاريخ حدوث الطوفان إلى ٢٩٢ سنة قبل مولد سيدنا إبراهيم.

ووفقا لما وَرَدَ بسفر التكوين نجد أن الطوفان قد امتدت آثاره لتشمل كل الجنس البشرى . The Human Race وكل المخلوقات الحية All Living Creatures التى خلقها الله على سطح الأرض باعتبار أنها قد تم تدميرها جميعا . وبذلك تكون البشرية قد أعادت تشكيل نفسها Was Re-constituted من خلال أبناء سيدنا نوح الثلاثة وزوجاتهم مما ينتج عنه أنه عندما وُلد سيدنا إبراهيم

بعد حوالى ثلاثة قرون فهو قد وجد البشرية قد أعيد تشكيلها Re-Formed إلى مجتمعات منفصلة Into Separate Communties السؤال هو : كيف تسنى لمثل هذه التجمعات البشرية الكبيرة التعداد كتلك التى كانت موجودة فى عصر سيدنا إبراهيم أن توجد فى غضون ثلاثة قرون فقط ؟ إن مثل هذه الملاحظة البسيطة تسلب هذه النصوص التوراتية عن قصة الطوفان كما أوردتها التوراة كل مصداقية تمتُّ إلى الحقيقة بأى صلة .

"This simple obeservation[1] deprives the narration of all verisimilitude".

وبالإضافة إلى ذلك نجد أن المعلومات التاريخية المتاحة لنا تثبت استحالة اتفاق هذه الرواية التوراتية عن الطوفان مع الحقائق العلمية التاريخية فى هذا الصدد . إن العصر الذى عاش فيه سيدنا إبراهيم قد تم تحديده بالسنوات من سنة (١٨٠٠ قبل الميلاد إلى ١٨٥٠ سنة قبل الميلاد أى بفارق حسابى بسيط لايزيد على خمسين سنة) . فإذا كان الطوفان قد حدث قبل ثلاثة قرون من وجود سيدنا إبراهيم كما يقرر ذلك سفر التكوين عند ذكره للأنساب ينتج عن ذلك أن الطوفان قد حدث فى القرن الحادى والعشرين ، أو القرن الثانى والعشرين قبل الميلاد . ولكن ، فى ذلك العصر ، وقبل ذلك العصر ، وبعد ذلك العصر ، فى حياة متصلة الحلقات عاشت حضارات بشرية ظلت آثار حياتها موجودة على سطح الأرض كما تؤكد ذلك الدراسات العلمية التاريخية الحديثة[2] .

وحتى لايكون هذا الزعم الذى نزعمه زعما جزافيا نجد أنه فى هذه الفترة فى إقليم مثل إقليم مصر Egypt على سبيل المثال لا الحصر أن القرن الحادى والعشرين قبل الميلاد هو تاريخ الفترة الوسطى الأولى الذى سبق مباشرة تاريخ الأسرة الحادية عشرة فى التاريخ المصرى القديم . ونجد أن أسرة «أور» الثالثة كانت موجودة على أرض «بابل» . ومن المعروف جيدا أن حياة الناس لم تتوقف فى هذه الأجزاء من العالم القديم ، ولم يحدث إعدام وتدمير لكافة مظاهر الحياة والبشر انعدمت فيه الحياة البشرية برمّتها كما تقول التوراة.

ونحن لانستطيع بناء على الروايات الثلاث التى تقدمها لنا التوراة عن قصة الطوفان أن نعتبر أن هذه الروايات يمكن أن تمدنا بمعلومات يمكن وصفها بأنها أحداث تتفق مع الحقيقة . ونحن مضطرون أن نعترف – لو شئنا أن نتكلم بموضوعية – أن النصوص التوراتية التى وصلت إلينا لاتمثل تعبيرا عن الحقائق . ومن الضرورى أن نسأل أنفسنا ما إذا كان من الممكن أن يكون الله قد أنزل كلاما بالكتاب المقدس مناقضا للحقيقة مخالفا لها .

---

(١) انظر ص ٣٤ من الترجمة الإنجليزية للكتاب . (المترجم) .

(٢) يعنى ذلك أن الطوفان لم يقطع بالفعل كل مظاهر الحياة على سطح الأرض ، ولم يشكل الطوفان فاصلا بين وجود الكائنات الحية والبشر قبل الطوفان عن وجود الكائنات الحية والبشر بعد الطوفان .(المترجم) .

"We may ask ourseolves whether it is possible for God to have revealed Anything other than the[1] truth"

إن من العسير أن نتقبل فكرة أن الله قد أعلم الإنسان أفكارا وآراء لم تكن خرافية Ficititious فقط ، ولكنها متناقضة بعضها مع بعض ، ومناقضة لحقائق العلم أيضا .Contradictory ومن الطبيعى أن نصل إلى ضرورة افتراض حدوث عمليات تحريف Distortions قد حدثت من جانب الناس ، ونشأت عن مأثورات بشرية ، وخبرات بشرية ، وأقوال بشرية Traditions مرت من جيل إلى جيل فى تواتر شفهى ، أو من تناقل نص مكتوب لهذا التراث الدينى الذى كان قد سبق كتابته على نحو آخر . وعندما يدرك الإنسان أن نصّا مثل نص سفر التكوين قد تم تعديل نصوصه مرتين على الأقل فى غضون ثلاثة قرون ، فكيف يدهش الإنسان حين يجد فيه أموراً غير معقولة أو روايات يستحيل أن تتفق مع حقائق الواقع . وإذا كان تقدم المعارف البشرية الحديثة لم يتح لنا معرفة كل شيء، فهو على الأقل قد أتاح لنا قدرا من المعارف العلمية الصحيحة التى تمكننا من الحكم على مدى اتفاق أو اختلاف هذه الروايات القديمة بين أجزائها وبين المعارف العلمية التى أتيحت لنا ، وليس شيء أكثر معقولية من هذا الافتراض لو شئنا تفسيرا لوجود التناقضات والأخطاء فى نصوص التوراة دون حاجة إلى المغالطات فى النقاش . وإنه لمن المؤسف حقا ألا يعترف المعلقون والشراح للنصوص المقدسة بهذا التفسير سواء كانوا مسيحيين أو يهودا . ومع ذلك فالحجج التى يتمسكون بها تستحق شيئا من الالتفات والدراسة .

(١) انظر ص ٣٤ من الترجمة الإنجليزية للكتاب (المترجم) .

موقف المفسرين المسيحيين من الأخطاء فى نصوص الكتاب المقدس

Position of Christian Authors with Regard to Scientific Errors in The Biblical Texts

تمحيصٌ نقدِيٌّ

A Critical Examination

إن الإنسانَ ليدْهَشُ عندما يرى ردود الفعل الطائشة من جانب المفسرين المسيحيين فى محاولاتهم للدفاع عن هذه الأخطاء والمتناقضات والأمور غير المعقولة بالكتاب المقدس لديهم . إن بعضهم يضع يده ويتعرف على بعض هذه الأخطاء والمتناقضات ولا يترددون فى التعامل مع هذه المسائل الشائكة . وبعضهم الآخر يمرون باستخفاف على المسائل غير المقبولة ويصرون على الدفاع عن نصوصها كلمة كلمة ، ويحاول آخرون أن يقنعوا الناس عن طريق التماس الأعذار لتبرير وجود هذه الأخطاء والمتناقضات بالكتاب المقدس باللجوء إلى مناقشات معقدة بعيدة عن الموضوع لصرف الانتباه عن صميم المشكلة على أمل أن ما يستحيل قبوله عقليا ومنطقيا سيتم نسيانه فى خضم المعلومات المعقدة غير ذات الصلة بالموضوع .

ونجد مثلا أن الأب دى ڤو Father de Vaux فى مقدمة ترجمته لسفر التكوين Genesis يتعرف بنفسه ويعترف بوجود هذه المشاكل المحرجة فى نصوص سفر التكوين ، بل إنه يتوسع فى شرح أبعادها وتوضيح وجاهتها وخطورتها ، وبالرغم من ذلك نجد أنه يبنى موقفه إزاءها على أساس أن محاولتنا استعادة أحداث الماضى بدقة لا أهمية له . إنه يكتب على سبيل المثال فى ملاحظاته هذه فى مقدمته ما نصه كما يلى :«إن حقيقة أن الكتاب المقدس قد عرض أوصافا لسَيْلٍ واحد أو طوفان واحد مدمر وقع فى وادى نهر دجلة ونهر الفرات أو أكثر من طوفان ، وإذا كان وَصْف التوراة لهذا الفيضان قد اعتراه كثير من المبالغة والتضخيم خلال تناقل وَصْفه على توالى الأجيال ليتخذ فى النهاية شكل كارثة عالمية ، فإن هذا لا يهم ، ولكن المهم هو جوهر المسألة ومغزاها الذى يتمثل فى أن كاتب النصوص المقدسة فى هذا الصدد قد قام بتوظيف هذه الرواية عن الطوفان لتكريس وتأكيد التعاليم الخالدة التى مؤداها هو عَدْلُ الله ورحمته إزاء خبث الإنسان وعناده ، ونجاة المؤمنين من غضبه وعقابه» .

وهكذا ، وبهذه الطريقة حاول الأب دى ڤو تبرير عملية تحويل الخرافات التى أدخلها الكتاب المقدس فى روايته لأحداث الطوفان إلى حَدَثٍ ذى أبعاد إلهية – ويغدو الأمر كما لو كان فكرة مناسبة وملائمة لإدماج الخرافة من أجل تقوية الإيمان وتوظيفها لتدعيم الإيمان لدى الإنسان متبعا فى ذلك مبدأ أن المؤلف قد استخدم الخرافة فيما يبدعه المؤلف من البشر لتصوير وإبراز وتجسيم التعاليم الدينية . إن هذا الموقف التبريرى يتم اتخاذه من جانب المفسرين المسيحيين لتبرير وتمرير النصوص التى يُفْتَرَضُ أنها نصوص مقدسة تُقدَّمُ للناس كلام الله . ولو أباح واستساغ الإنسان مثل هذا التدخل البشرى الإنسانى فيما هو إلهى يجوز تمرير كل ما اعتسفه وأدخله البشر

من إضافات إلى كلام الله في الكتَاب المقدس بناءً على قاعدة أن وجود مقاصد وأهداف ومعان دينية يبرر أى إضافات وأى تَدَخُّلٍ وإدْماجٍ لكلام البشر فى كلام الله ، وتغدو هذه الإضافات البشرية إلى كلام الله مشروعة مقبولة فى نظر المفسرين المسيحيين مما يجيز إضافات ماكتبه كهنة القرن السادس من عند أنفسهم وأضافوه إلى كلام الله فى القرن السادس قبل الميلاد . بما فى ذلك ما أضافوه من روايات وهمية لا أساس لها من الصحة كتلك التى شاهدنا فيما سبق من أمثلة لها (١) .

ويدأب عدد كبير من المفسرين المسيحيين على تفسير الأخطاء والأمور غير المعقولة وتقديم تناقضات التوراة اعتمادا على مقولة أن كُتَّاب نصوص التوراة إنما كانوا متأثرين بثقافتهم الخاصة وأفكارهم المستمدة من حياتهم الاجتماعية والمتسقة مع العوامل المختلفة التى كانت تشكل وتكون ثقافتهم وعقليتهم ؛ ومن هنا نشأ الاصطلاح الذى يطلق عليه اسم «الأنماط الأدبية الخاصة literary genres" وأفضى إدخال هذا الاصطلاح فى مناقشات أولئك المفسرين إلى حل كل المشاكل والتناقضات والصعوبات . ورغم أن هذه الطريقة لا يلجأ إليها كل المفسرين فهى لا تزال مستخدمة حتى اليوم ، وسنرى الإسراف فى استخدامها عندما نعرض لدراسة أناجيل العهد الجديد فى محاولة المفسرين المسيحيين لتبرير الأخطاء والتناقضات فى نصوص أناجيل العهد الجديد .

وهناك طريقة أخرى لتبرير وتمرير النصوص التى يأباها المنطق ، ولا تتسق مع المعقولية ، وهى إغراق هذه النصوص فى فَيْضٍ من المديح والمبالغة فى بيان ظروف هذه النصوص والاستطراد فى معان بعيدة عن النص لتشتيت انتباه السامع أو القارئ عن وجوه وأسباب التناقض إلى معان ونواح أخرى .

إن تأملات وملاحظات الكاردينال دانييلو Danielo عن الطوفان تتبع هذه الطريقة . لقد ظهرت هذه التأملات فى مجلة «الله الحى Dieu Vivant" تحت عنوان :«الطوفان والتعميد والحكم Flood, Baptism & Judgement" حيث يكتب ما نصه :«إن تقاليد الكنيسة القديمة قد وجدت فى قصة الطوفان صورة المسيح والكنيسة» ويكتب أيضا ما نصه :«إن الطوفان حَدَثٌ ذو دلالة عظيمة... إنه حكْمٌ يصيب الجنس البشرى كله» ولقد تأثر فى ذلك بكتابات أوريجين Origen فى مواعظه عن حزقيال عندما تَحَدَّثَ عن حطام السفينة التى أنقذت العالم كله ، ثم يستطرد الكاردينال دانييلو فى بيان أهمية وقيمة الرقم ثمانية (٨) وهو الرقم الذى ذكرت التوراة أن الله قد أمر سيدنا نوحا أن يأخذ معه فى السفينة من كل نوع من أنواع الموجودات وهو أيضا الرقم الذى يحدد عدد البشر على السفينة (باعتبار أنهم نوح وزوجته وأبناؤه الثلاثة وزوجاتهم) ، ويستعير دانييلو أيضا ما

(١) من الواضح أن الله ليس بحاجة إلى أن يورد فى كلامه أى خرافات ذات مغزى مهما يكن هذا المغزى . وربما يجوز أن يستخدم البشر حكايات خرافية لاصلة لها بالحقيقة من أجل إبراز معنى أو مغزى مفيد ، ولكن هذا المنحى لا يليق بكلام الله سبحانه وتعالى. (المترجم) .

سبق أن كتبه أيضا «جوستين Justin" فى «المحاورة : The Dialogue" عندما قال إن العدد (٨) يرمز أيضا إلى اليوم الثامن The Eighth Day «عندما قام المسيح من بين الموتى» ! ويقول أيضا :«ولقد كان نوح وهو أول من كُتِبَتْ له الحياة بعد الطوفان صورة حية معبرة عن الدور الذى أداه المسيح فى حقيقة[١] حياة البشرية . وتستمر المقارنة ويستمر الاستطراد فى المقارنة بين سيدنا نوح الذى نجا وأنقذ البشرية من الهلاك بواسطة السفينة المصنوعة من الخشب الشبيه بخشب الصليب وطفت وعامت السفينة فوق الماء الشبيه بماء التعميد الذى ينقذ البشر من الهلاك من الجهة الأخرى .

ويمكن أن يقال الكثير عن مثل هذه المقارنة . وينبغى أن نتذكر أنها تعليقات على حادثة لا يمكن الدفاع عنها [٢] كحقيقة سواء فى تَعَلُّقها بالعالم كله أو تَعَلُّقها بالوقت الذى وقعت فيه حادثة الطوفان ، كما تحدد التوراة زمان حدوث الطوفان . إن تعليقات الكاردينال دانييلو ترجع بنا إلى العصر الوسيط حيث كانت نصوص التوراة يتم قبولها دون أى مناقشة حيث كانت المعقولية معدومة الصلة بالنصوص .

وبالرغم من ذلك نجد بعض الكتابات المشجعة فى ظلمات العصر الوسيط مثل كتابات القديس أوغسطين Saint Augyustine التى نبعت من تفكيره الشخصى المستقل المستنير الذى انفرد بالتقدم بالنسبة للعصر الذى عاش فيه القديس أوغسطين .

ومما لا شك فيه أن عصر آباء الكنيسة قد عرف مشاكل تتعلق بنقد النصوص إذ أننا نجد أن القديس أوغسطين يتحدث عن إحدى هذه المشكلات فى خطابه رقم (٨٢) وعلى وجه الخصوص نجد ذلك فى الفقرة التالية من هذا الخطاب إذ يقول فيها القديس أوغسطين ما نصه كما يلى : «إن الكتب المقدسة المعروفة باعتبار أنها وحدها هى الكتب القانونية Canonic Scripture هى الكتب التى تعلمت أن أوليها التفاتا واحتراما ، وأعتقد أن محرريها لم يرتكبوا أى أخطاء فى تحريرها . وعندما أصادف فى أحدها كلاما مناقضا للحقيقة Contradicting Reality لايخالجنى أى شك فى أن خطأ ما قد اعترى النسخة التى أجدها فى يدى ، أو أن المترجم لم يكن دقيقا أمينا فى الترجمة أو أن القصور إنما هو فى قدرتى أنا على الفهم» .

لم يكن من المعقول فى نظر القديس أوغسطين القبول بأن النصوص المقدسة تحتوى على أخطاء .

كان القديس أوغسطين يؤمن تماما بعقيدة «عصمة النصوص المقدسة من الخطأ Inerrance"

(١) المعنى هو أن المسيح قد أنقذ البشر من الهلاك كما أنقذ سيدنا نوح بصنعه السفينة البشر من الهلاك فى الطوفان . (المترجم) .
(٢) ليس القصد هنا هو نفى وتكذيب واقعة الطوفان ، ولكن التكذيب ينصب على كيفية الرواية التوراتية عن واقعة الطوفان . الطوفان حدث فعلا لقوم سيدنا نوح ولم يشمل كل أنحاء العالم كما تقرر التوراة ذلك . وإذا كان الهلاك قد أصاب قوم لوط أو قوم صالح فليس معنى ذلك أن الهلاك قد أصاب كل العالم . (المترجم) .

ولكنه كان يقر ويعترف أيضا بوجود أخطاء ومتناقضات فى النصوص المقدسة ، فيرجعها إلى أسباب إنسانية محضة . وهذا المنحى الذى نحاه القديس أوغسطين إنما هو منحى إنسان مؤمن يتمتع بحاسة نقدية سليمة فى الوقت نفسه . وفى عصر القديس أوغسطين لم تكن حقائق العلم من الوضوح والذيوع بحيث يظهر تناقضها مع نصوص الكتاب المقدس . وكانت رؤية مرنة واسعة الأفق مثل رؤيته لمبررات عدم المعقولية فى بعض النصوص المقدسة كافية لتبرير وتسطيح كثير من المشكلات التى تثار فى أيامنا الراهنة عند مقابلة بعض نصوص التوراة بحقائق العلم .

ويجتهد مفسرو الكتاب المقدس فى أيامنا الراهنة فى الدفاع عن نصوص التوراة أمام أى اتهام بالخطأ . ويعطينا الأب دى فو فى مقدمته لسفر التكوين الأسباب التى تضطره إلى الدفاع عن نصوص الكتاب المقدس فى كل الأحوال والظروف بأى وسيلة ، وبأى ثمن حتى ولو كانت غير مقبولة من الناحية التاريخية أو من الناحية العلمية . إنه يطلب منا ألا ننظر إلى التاريخ التوراتى Bib-lical History بذات القواعد العلمية التى يستخدمها الناس بالنسبة إلى التاريخ البشرى[1] فى أيامنا الراهنة كما لو كانت هنالك معايير مختلفة لتمحيص حقائق التاريخ . إن التاريخ عندما تتم روايته بطريقة غير صحيحة لا يكون تاريخا بل يغدو خيالا وأوهاما . ويتفق كل الناس على صحة هذا المبدأ . ولكن التاريخ الذى يريده الأب دى فو بالنسبة للتوراة لا ينبغى – من وجهة نظره – أن يخضع للمعايير والمقاييس والقواعد المتفق عليها كشروط لصحة سرد الوقائع التاريخية .

إن مفسر التوراة يرفض أى تمحيص لما تسرده التوراة من خلال حقائق علم الچيولوچيا Geolgy أو حقائق العلوم التى تبحث تطورات الحياة فى العصور الچيولوجية Paleontology . إن التوراة كما يقول الأب دى فو لا تأبه بأى من هذه الدراسات العلمية . وإذا أردنا أن نربط نصوص التوراة وننظر إليها فى ضوء مثل هذه العلوم فلقد ننتهى إلى تعارض أو إلى توافق مصطنع[2] وجدير بالذكر أن نلاحظ أن هذا الدفع وهذا التبرير الذى يلجأ إليه الأب دى فو إنما يتعلق بالتناقضات الموجودة بسفر التكوين وعلى وجه خاص فى الأحد عشر أصحاحا الأولى منه . ولكن لو كانت أى حقيقة علمية يتم الكشف هنا تؤيد وتبرهن على صحة أى حقيقة من حقائق الكتاب المقدس يتم الترحيب بها ، وتتخذ دليلا على مصداقية وصحة محتويات الكتاب المقدس كله ولا يترد المفسر فى الاستشهاد بمثل هذه المعارف العلمية الحديثة لمساندة حقائق التوراة . وفى ذلك ، وفى مثل هذه الحالات يقول الأب دى فو بالحرف الواحد :«إن الشكوك التى غيمت وأحاطت بهذه النصوص التوراتية قد انقشعت وزالت بفضل الاكتشافات التاريخية والاكتشافات التى تمت فى إطار علم الآثار الشرقية Eastern Archaeology" وبعبارة أخرى يمكن القول : لو كان العلم

(١) هذا موقف غريب وغير معقول . هل نشترط المعقولية وعدم التناقض بالنسبة للتاريخ البشرى ونتغاضى عن المعقولية وعدم التناقض بالنسبة للسرد التاريخى فى التوراة . هذه دعوة سافرة إلى إلغاء العقل البشرى وإجازة للقبول بالتناقض دون أى مبرر . (المترجم) .

(٢) مدخل إلى سفر التكوين –ص٣٥ . Introduction to Genesis - page 35 .

مفيدا فى تأييد إحدى روايات التوراة فلا بأس فى ذلك ، أما إذا دحضت حقائق العلم إحدى روايات التوراة فإن الرجوع إلى هذه الحقائق العلمية غير مقبول وغير مسموح به .

وللتوفيق بين ما لا يقبل التوفيق وبين الاعتقاد السائد بين مفسرى الكتاب المقدس ومؤداه هو الصدق المطلق لكل نصوص الكتاب المقدس على الرغم من ظهور ووضوح التناقض فيما بينها من جهة وفيما بينها وبين حقائق العلم من جهة أخرى ، اجتهد علماء اللاهوت المسيحى فى تعريف الحقيقة والتصورات الكلاسيكية للحقيقة . Classical Concepts of Truth وليس متاحا فى كتابنا هذا أن نعرض لكل تفاصيل الدراسات اللاهوتية المتصلة بموضوع «الحقيقة فى التوراة» مثل تلك الدراسة التى قدَّمها أ . لورتز O. Loretz عام ١٩٧٢م تحت عنوان : «ما هى حقيقة التوراة What is the truth of Bible?» وهى الدراسة التى أصدرتها له دار سنتريون Centurion فى باريس وعنوانها بالفرنسية هو Quelle est la Verite de la Bible? ويهمنا فحسب بهذا الصدد أن نشير إلى رأى مؤلف هذه الدراسة فيما يتعلق بحقائق العلم .

يلاحظ مؤلف كتاب : «ما هى حقيقة التوراة؟» أن المجمع المسكونى الثانى للفاتيكان قد حَذَّرَ من إعطاء رجال الدين المسيحى أى قواعد أو أحكام للتمييز بين الخطأ والحقيقة[١] فى التوراة ، حيث إن هنالك اعتبارات أساسية تشير إلى استحالة هذا التمييز بين الخطأ والحقيقة ، ولا تستطيع الكنيسة أن تتخذ قرارا تحسم به الرأى بشأن صحة أو خطأ المناهج العلمية بحيث تحل بشكل عام مشكلة الحقائق والأخطاء فى الكتاب المقدس.

ومن الواضح أن الكنيسة لا تستطيع أن تصدر تقييما صحيحا عن قيمة المنهج العلمى كوسيلة للوصول إلى المعرفة ولكن المسألة هنا إنما هى شىء آخر تماما . إن المسألة هنا لا تتعلق بالنظريات العلمية It is not a question of theories ولكن المسألة فى حقيقة الأمر تتصل[٢] بالحقائق العلمية الثابتة فعلا The Firmly established facts فى يومنا هذا ، وفى عصرنا هذا ليس من الضرورى أن يكون الإنسان متعمقا فى العلوم الوضعية ليعرف أن العالم لم يخلق من عدم منذ سبعة وثلاثين ، أو ثمانية وثلاثين قرنا مضت . إننا نعرف معرفة يقينية أن الإنسان لم يكن قد بدأ فى الظهور على سطح الأرض آنذاك ، وأن ترتيب الأدوار الچيولوچية التى بنى على أساسها هذا الترتيب التوراتى قد ثبت بطلانه بما لا يدع مجالا لأى ريب . ولقد كان من الضرورى لمؤلف كتاب «ما هى حقيقة التوراة ؟» أن يعى مثل هذا الاعتبار على سبيل المثال لا الحصر.

---

(١) معنى ذلك أن المجمع المسكونى الثانى للفاتيكان قد أوصى بضرورة الإيمان الدجماطيقى بصحة نصوص الكتاب المقدس دون أى محاولة للفهم أو التعقل أو المناقشة وذلك اعتماداً على التشكيك فى مناهج العلم الحديث ومدى قدرتها على إدراك وبلوغ الحقائق . وليس العيب فى نصوص الكتاب المقدس ولكن العيب فى قدرة الناس على الفهم . (المترجم) .

(٢) ليست المشكلة هى مناقشة تعارض بعض النصوص بالكتاب المقدس مع بعض النظريات العلمية Theories ولكن المشكلة هى تعارض بعض نصوص الكتاب المقدس مع بعض الحقائق العلمية facts (المترجم) .

إن ما يقوله مؤلف هذا الكتاب بشأن العلم إنما هو محاولة من جانبه لتنحية حقائق العلم حتى لا تكشف التناقض والخطأ فى بعض نصوص الكتاب المقدس تهربا من مواجهة هذه التحديات العلمية كما يجب عليه أن يواجهها ، وعندما نضع فى اعتبارنا هذه المواقف التى يلجأ إليها المؤلفون المسيحيون إزاء الأخطاء العلمية فى بعض نصوص التوراة يتضح لنا مدى ضيقهم وضجرهم إزاء حقائق العلم مما يفضى إلى استحالة الدفاع عن هذه الأخطاء التوراتية دفاعا منطقيا مقنعا فيما عدا اللجوء إلى القصور البشرى ، والادعاء بأنهم الممثلون الشرعيون لجزء من الوحى الإلهى Revelation .

إن هذا الضيق الذى يعترى الأوساط المسيحية فيما يتعلق بشأن الوحى الإلهى (فى التوراة) كان واضحا جدا فى المجمع المسكونى الثانى للفاتيكان (١٩٦٢-١٩٦٥) بحيث إنه قد تطلب تجريب ما لا يقل عن خمس صياغات ، حتى اتفقوا على النص النهائى لقرارهم بعد ثلاث سنوات من المناقشات حتى ينتهوا من «هذا الوضع المؤلم الذى كان يهدد بسحب الأرض من تحت أقدام أعضاء المجمع المسكونى الثانى للفاتيكان» على حد تعبير صاحب القداسة الأسقف فيبر His Grace Weber : فى مقدمته التى كتبها للوثيقة المسكونية الرابعة عن الوحى الإلهى فى التوراة .

وهنالك جملتان وردتا فى هذه الوثيقة الخاصة بالوحى الإلهى فى التوراة ، وردتا فى الفصل الرابع ص ٥٣ ، وتشير هاتان الجملتان إلى وجود شوائب فى بعض النصوص مما يفضى إلى بطلانها بشكل لا يسمح بأى معارضة لهذا البطلان ، ومع ذلك تسبغ عليها هالة من الألوهية والقداسة عندما تقول بالحرف الواحد :« وبالنظر إلى موقف الناس من الخلاص Salvation قبل مجىء المسيح فإن العهد القديم (التوراة) إنما يمكن كل الناس أن يعرفوا من هو الله ؟ ومن هو الإنسان ؟وكيف تصرف الله بعدله ورحمته نحو الإنسان ؟ وأسفار العهد القديم مع أنها تحوى مادة لا تبلغ حد الكمال وبها شوائب يعتريها البطلان فهى تحوى أيضا ما يدل على أنها تعاليم إلهية حقيقية» .

"These books even though they contain material which is imperfect and obsolete , nev-erthless bear witness to truly divine [1] Teachings"

وليس هنالك تعبير أكثر حَسْمًا من هذا التعبير الوارد فى هذه الوثيقة مستخدما كلمات مثل «عديم الاكتمال imperfect" وكلمات مثل :«ظاهر البطلان والخطأ Obsolete" ليتضح الانتقاد الذى ينبغى أن يفضى إلى نبذ القبول بمحتوى هذه النصوص. إن مبدأ وجوب نبذ هذه النصوص قد تم الاعتراف به بكل وضوح .

(١) الجملة الثانية التى أشار إليها المؤلف كما وردت فى الترجمة الإنجليزية للوثيقة التى أصدرها المجمع المسكونى الثانى للفاتيكان (١٩٦٢-١٩٦٥) - (المترجم) .

إن هذا النص إنما هو جزء من وثيقة رسمية أعلنها مؤتمر لرجال الدين المسيحى وتم التصويت عليها وصدرت عن المؤتمر الفاتيكانى المشار إليه بأغلبية ٢٣٤٤ صوتا ضد ستة أصوات فقط عارضت إصداره . ولو عَنَّ لأحد أن يتشكك فى هذا القرار الصادر بمثل هذه الأغلبية لقطع الشك باليقين ما حرره أصحاب القداسة «الكاردينال ويبر» مصاغا فى الجملة التى كتبها يقول فيها بهذا الصدد ما نصه كما يلى :«إن أسفارا معينة فى التوراة اليهودية موجودة بالتوراة فى الوقت الحالى وبها شوائب تنتقص مصداقيتها» .

لقد ورد تعبير «ظاهر البطلان والخطأ» فى صلب الوثيقة الفاتيكانية وورود تعبير «التوراة اليهودية فى الوقت الحالى بها شوائب تنقص مصداقيتها» ربما تحاول الإيهام بأن هذا الاتهام إنما يلتصق فقط بالتوراة فى نصوصها العبرية The version in Hebrew باعتبار أن النص العبرى من التوراة فقط هو موضوع ذلك القرار الذى يدمغ بعض نصوصها بالنقص والبطلان والخطأ .

الخلاصة

إن تقييم التوراة ينبغى أن يتم دون التأثر بالمزايا المصطنعة المزعومة المتسقة من بعض الأهواء التى يحب بعض الناس الإشادة بها ، بل يلزم فَحْص وتقييم محتويات نصوص التوراة بموضوعية Ob-jectively كما هى فى حقيقة الأمر . ولا يتطلب الفحص الموضوعى معرفة النصوص فحسب ، بل إن الفحص الموضوعى يستلزم أيضا معرفة تاريخ نصوص التوراة . إن الإلمام بتاريخ النصوص يسمح لنا بتكوين فكرة صحيحة عن الظروف التى أفْضَتْ إلى إجراء تعديلات فى بعض النصوص على مدار القرون وتوالى العصور حتى وصلت نصوص التوراة ببطء إلى مجموعة نصوص التوراة بصورتها الراهنة الموجودة بين أيدينا اليوم بعد أن حُذِفَ منها وأضيف إليها نصوص كثيرة .

إن هذا الفحص الموضوعى لنصوص التوراة الذى يأخذ مأخذ الجد ضرورة الإلمام بتاريخ نصوص التوراة يتيح لنا معقولية أننا نجد فى نصوص التوراة روايات مختلفة عن موضوع واحد مع وجود أخطاء تاريخية مع كثير من التناقض والأمور غير المعقولة والأمور التى يستحيل الاتساق بينها وبين الحقائق العلمية الثابتة التى لا شك فيها . إن مثل هذا التعارض بين بعض نصوص التوراة وحقائق العلم الحديث الثابتة متوقع الحدوث فى هذه الكتابات القديمة من حيث إنها كتابات قام بإنشائها وتمريرها بشر (*) human works منذ عهود قديمة موغلة فى القِدَم ولم لا يجدها الإنسان فى أسفار التوراة بهذه الحال التى توجد بها أسفار التوراة بحالتها الراهنة ؟

* يتضح من هذا أن كلام الله الصحيح النسبة إلى الله كما أوحاه الله إلى بعض أنبيائه ورسله –عليهم السلام – يستحيل وجود خطأ أو تناقض فيه ، أما كلام البشر فهو عرضة للخطأ . (المترجم)

فى وقت من الأوقات ، لم يكن من الممكن إثارة مشكلات علمية بشأن نصوص التوراة لتواضع شأن التقدم العلمى فى تلك الأوقات ، ولم يكن من المتاح فى تلك الأوقات إلا ملاحظة إمكانات التناقض واللامعقولية – استطاع رجل أتاح الله له حسن الإدراك مثل القديس أوغسطين Saint Augustine أن يعلن أن الله يستحيل أن يوحى إلى الإنسان كلاما وتعاليم دينية لا تتسق مع الحقيقة ، وبناءً على ذلك أعلن القديس أوغسطين مبدأ استحالة أن تكون أى مقولة مخالفة للحقيقة صحيحة النسبة إلى الله سبحانه وتعالى ، وكان القديس أوغسطين مستعدا على الدوام أن يستبعد من النصوص المقدسة أى شيء كان يبدو له جديرا بالاستبعاد من النصوص المقدسة على هذا الأساس .

وفيما بعد عصر القديس أوغسطين ، وفى وقتنا الراهن ، وعندما تتعارض نصوص معينة من الكتاب المقدس مع حقائق العلوم الحديثة ويتم التحقق من ذلك ، نجد أن مثل موقف القديس أوغسطين لا يجرؤ أحد على وقوفه . ولذلك ها نحن أولاء نشهد أن كثيرا من الكتابات تنهض لتبرير الاحتفاظ بنصوص لا يصح أن يكون لها مكان فى التوراة بالرغم من كل شيء .

إن المجمع المسكونى الثانى للفاتيكان (١٩٦٢-١٩٦٥) قد قلّل كثيرا من تصلّب هذا الموقف المتزمت المتشدد وذلك باتخاذه بعض التحفظات بشأن «أسفار العهد القديم "Books of the old testament" التى تتضمن مسائل غير مكتملة المعقولية أو بعض التناقض والبطلان.

"... which contain material that is imperfect [1] and obsolete" .

وإن الإنسان ليتساءل : هل سيظل هذا التحفظ قائما سارى المفعول كتعبير عن فضيلة المرونة والنزول على مقتضيات الحقائق أم أنه سيكون مصحوبا بضرورة تغيير الموقف إزاء ما لم يعد القرن العشرون يقبله فى أسفار الكتاب المقدس ؟ الحق الصريح هو أنه عند تخلصنا من المناورات والمغالطات التى لا لزوم لها ، نجد أن الموقف الأخير الذى ينادى بضرورة نبذ ما لا يتسق مع الحق من نصوص أسفار التوراة هو الموقف الذى يلزم اتخاذه ليكون شاهدا على التعاليم الصحيحة الآتية من الله .

" ... To be the witness of true teachings coming from God" .

(١) اقتباس نص تقرير المجمع المسكونى الثانى للفاتيكان المشار إليه إنما هو كما أوردها المؤلف بنفسه . (المترجم) .

الأناجيل
The Gospels
مقدمة لدراسة الأناجيل

يشعر كثير من قراء الأناجيل[1] Gospels بحرج وحيرة إلى حد الارتباك الذهنى عندما يتفكرون فى معنى بعض الروايات الواردة فى بعض الأناجيل لوصف أحداث معينة . ويشعرون بنفس الحرج والحيرة والارتباك الذهنى عندما يجرون مقارنة بين ما يتضمنه هذا الإنجيل وذاك الإنجيل من وصف مختلف لحدث معين ، يعرض له بالوصف أكثر من إنجيل . إن هذه الملاحظة قد أشار إليها الأب روچيه father Roguet فى كتابه المعنون بعنوان : «مقدمة لدراسة الأناجيل initiation to the Gospels وهو الكتاب الذى أصدرته دار دى سوى فى باريس عام ١٩٧٣ بعنوان فرنسى هو Initiation à L'Evangile

إن التجربة الثرية التى خاض هذا الكتاب غمارها ومؤلفه الذى كان لسنوات طويلة مُكلَّفًا بالرد على أسئلة القراء بجريدة أسبوعية كاثوليكية قد سمحت لمؤلف هذا الكتاب أن يدرك مدى الاضطراب الذى يشعر به قراء الأناجيل من جراء قراءتهم لها . ولقد كانت الأسئلة تنهال عليه من أوساط اجتماعية وثقافية شديدة التنوع ، وهى أسئلة كانت تنصب على نصوص يراها القراء «مبهمة غير مفهومة أو يرونها متناقضة أو عبثية أو فاضحة» (absurd and scandalous) مما لا يدع مجالا للشك فى قراءة لكل الأناجيل من شأنها أن تثير كثيرا من الاضطرابات فى أعماق المسيحيين .

إن هذه الملاحظة قريبة العهد فى الانكشاف والظهور ، إذ أن الأب روچيه كان قد نشر كتابه فى عام ١٩٧٣ .

وإلى عهد قريب كان أكثر الناس المسيحيين لا يعرفون من نصوص الأناجيل إلا بعض المقاطع المختارة التى تقرأ عليهم أو يرتلونها فى مناسبات القداس والعظات الكنسية فى المناسبات الدينية ، ولم يكن يتسنى لغالبية المسيحيين أن يدرسوا كامل نصوص الأناجيل بكاملها فى الغالب الأعم لو استثنينا حالة البروتستانت . وكتب التعليم الدينى المسيحى لا تحتوى فى العادة على شىء أكثر من مقاطع مختارة من الأناجيل دون اهتمام بتتبع النص الكامل لأى إنجيل . إننى أثناء دراستى

(١) المقصود بالأناجيل هو ما يحويه العهد الجديد New Testament من الكتاب المقدس Bible الذى يحوى أسفار العهد القديم Old Testament أو التوراة Torah . والعهد القديم أو التوراة هى كتاب اليهود المقدس . وإذ لم يعمل المسيح -عليه السلام -كتابا مقدسا على أحد من الناس إبان حياته ، ولم يكتب بنفسه كتابا مقدسا ، اعتمد المسيحيون الأوائل على التوراة وأسفار العهد القديم ككتاب مقدس لديهم ، وبعد عشرات السنين من نهاية شأن المسيح مع قومه ظهر ما يعرف بالأناجيل يتضمنها العهد الجديد وهى أربعة أناجيل هى إنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا . (المترجم) .